قبرٌ في الأرض، قبرٌ في السَّماء

يوسف الخضر

عنوان الكتاب: قبرٌ في الأرض، قبرٌ في السماء
تأليف: يوسف الخضر
تصميم الغلاف: مروة فتحي
تصميم داخلي: لخضر بن الزهرة
الناشر: دار أبعاد للطباعة والنشر
الطبعة الأولى - سنة 2021
ISBN: 978-614-8041-64-8

لا يُسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والنشر على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الكاتب، تحت طائلة الملاحقة القانونية.

دار أبعاد للطباعة والنشر
لبنان – بيروت – الجناح
نزلة السلطان إبراهيم – بناية طراد لاند سنتر ط1
صندوق بريد 7179 – 113 بيروت – لبنان
00961-71-841086
abaaddar@gmail.com

يوسف الخضر

قَبرٌ في الأَرْض
قَبرٌ في السَّمَاء

إلى رزان
أين ما كانت

النَصّ الذي لا يجرح مخيّلتي عند قراءته،
النصّ الذي لا يترُك بداخلي كدمة
لا أريده.

لمْ يصلْ بعدُ

يخطرُ لي أحيانًا أنْ أرجعَ بالزَّمنِ إلى الوَراء،
كي أسألَ الحوادثَ المُميتةَ التي نَجوتُ منها:
هل هذه هي النجاة؟!
**
لم يصلْ بعدُ،
والمُمتعُ في المَوتِ أَنَّهُ خلاصُنا منَ الأشياءِ التي نكرهُها
والأشياء التي نحبُّها معًا.
**
لمْ يصلْ بعدُ
اليومَ، لن ترسوَ المراكبُ
وتلكَ العَتَمةُ بينَ السَّماءِ والبَحرِ..
نكتةٌ باهتةٌ لمْ تجدْ مَنْ يَضحكُ في وجهِها.
وتلكَ النُّجومُ
لاجئونَ لمْ يجدوا مَنْ يَستقبلُهمْ فهاموا على وجوهِهِمْ
وأنا ساذجٌ؛
أُدخِّنُ على جُثَّةِ هذا العَالمِ سيجارة وأُطفِئُها في عينِه.
**

لَمْ يَصلْ بَعدُ

داسَني الوقتُ ومَضى كأنَّني قطعةٌ مِنَ الخُردة
أبكي لأستجدي جَدوى مِنَ اللا جَدوى
أضحكُ كيلا يأخذَني الموتُ على حينِ غِرَّةْ.

**

لَمْ يَصلْ بَعدُ

كلُّ مياهِ البحر وزرقتِه
لمْ تنقذْ سمكةً صغيرةً ابتلعتْ الطُّعمَ

**

لَمْ أَعُدْ مُمتنًّا لنعمةِ البَصرِ
بعدَ أنْ رأيتُ ما رأيتُ بعيني،
لذا بِعتُها (أقصد عيني)
واشتريت بثمنها مِقصَلَةً..
وآهٍ أيُّها الأبدُ!
أخشى ما أخشاهُ
أنْ يكونَ للمَوتى ذاكرة.
**
*الهامستر الذي يركضُ في رأسي.. لمْ يصلْ بعدُ.

الحسكة

تُضاجِعُ الغربةُ ذاكرةَ العابرين؛
وأنا – من شدّةِ الوحدةِ – بترتُ كفَّ يدي.
كلُّ الدروبِ تبدأُ وتنتهي،
وحدَها الطريقُ إليكِ
تسافرُ بي إلى الوراء.
**

هنا أعمدةُ النورِ تبكي،
والشواطئُ نامَت متعبةً.
هنا وجهُ المدينةِ يَرْشحُ بؤسًا،
هنا بيروت!
وأنا.. وحيدٌ،
أصافحُ الموتَ بكفِّي المثقوبة.
**

أمرُّ في بالِكِ كما تمرّ زجاجةٌ حادّةٌ في يدِ طفل
وتمرّين في بالي كالرصّاصة.
شجرتا سروٍ، وكلٌّ منّا له صحراءُ حزنِه.
ترى..
هل تُسْعفُ الحنينَ شجرتانِ تحلمانِ باللقاء،
ولو للحظة؟
**

في الحسكةِ أشياءُ يَصْعُبُ تفسيرُها:
فوضى الصحاري،
وسذاجةُ الرعيانِ،
وحاجةُ رأسي الملحّةُ إلى النيكوتين.
هناك قرأتُ للحَرْمَلِ فصلًا من رواية الأبله لـ (دوستويفسكي)،
وقلتُ للزعترِ البرّيّ إنّ (فان غوغ) مات جائعًا،
وإنّ (الماغوط) لم يكن يدخّنُ لأنّه مدمِن،
بل لأنّه لا يجيدُ إلا التدخين.
الحسكة – في بالي – عجوزٌ لا تملكُ سوى الشتات،
والكونُ – كلّ الكون – يرضَعُ من ثديِها المتهدّل.

عجلة الهامستر

منْ كثرة ما رأيتُ من الأسى
يخطر لي أحيانًا أن أقتلع عينيَّ
وأدوس عليهما
**
شجرة يابسة
تنتظر من قَطَعها ليُلقي بها في الموقِد
بعد أن باتَ رجوعها إلى الغابةِ مستحيلًا
**

قاسية الحياة كصفيح بارد أستلقي عليه
لا الصفيح البارد يأخذ الدفء من قلبي؛ فيفتر.
ولا قلبي يتخدّر فأنسى وأغفو.
**

أركض لاهثًا
بداخلي وحشٌ يحاولُ الخروج
يحاول بمخالبهِ
وأنيابه.
**

أركض لاهثًا
كل شيء تقع عليه عينِي
طعمه مر في فمي
جبل من النيكوتين يرقد في حلقي
أشعر أن كل سيجارة أحرقتها ستعود لتنتقم
**

أتوقفُ عن الركضِ.
على جرذٍ منسحق على الأسفلت
لن أحمل جثته المقرفة طبعًا
قد أواسيهِ بشتم السائقين القساة..
**

أُعاودُ الركض
مثل كائنٍ مُهَدَّدٍ بالانقراض
وهذا العالم حقلُ ألغامٍ شاسع.

ما الذي يدفعني للكتابة

يصرخُ المرءُ حين يخرج عن طورِه
الصراخ هو أفكارُنا ومشاعرُنا
حين تفلت منا فجأة
دون أن يحرفَها ويضبطَها العقلُ،
كذلك هي الكتابة بالنسبة إليَّ؛
إنها صُراخ.
**

بعدَمَا رأيتُ ما رأيتُ في هذا العالم
وسمعتُ ما سمعتُ..
بعدَ كلِّ ما مررتُ بهِ،
كانَ عليَّ أنْ أكونَ كاتبًا..
لمْ أجدْ خَيارًا آخر..
ما كنت لأخرجَ من هذا العالم صامتًا.
ما كنت لأدعَ كل هذا الألم يُدفن معي.
**

إنَّني أكتبُ لأنتقم
لأثبت للحياة أنها آذت كاتبًا،
ولم تؤذِ شخصًا عاديًّا

أقترف الحياة ذنبًا

(عبث)

أمي كانت تكنسُ الغبارَ أمامَ بيتِنا،
بيتُنا كان في قرية (كلّها مكوّنة من غبار).

**

(عبث)

تشبَّثَ الأمسُ بيدي
كأحدٍ أوشكَ أن يسقطَ
سيأتي الغدُ
ويدفعُنا معًا نحوَ الهاوية.

**

(عبث)

أقترفُ الحياةَ ذنبًا،
وأستنكرُ ارتكابَ غيري هذا الذنبَ..
تسحلُني الذكرياتُ مجرمًا
لا شفيعَ لي سوى رصاصةٍ
تفتحُ لي ثقبًا عريضًا في الرأس
كي أهربَ أنا،
وينالَ الهامسترُ المِسْكينُ حريّتَه
**

(عبث)

أحدّقُ عاليًا كذئبٍ وحيدٍ،

وأصرُخ:

أيُّها الشُّعراء..

ليشقَّ أحدُكم صدري

ولْيُخبرني:

مِن أين تنبعُ كلُّ تلكَ المرارة؟!

**

(عبث)

أجلسُ بلا جدوى كراعٍ
أغنامُه تعرف طريقَ العودةِ إلى البيت..
وظلّي ساهٍ يحكي لي عن عزاءِ الفقراء للفقراء،
وعن خرائبِ المُدن،
وأُغنّي لَهُ
عنْ بلاهةِ الحُزنِ في جنائزِ الغربان،
وعن ارتحال البدو والغيم والغجر.
**

(عبث)

مَن يوقفُ الطوفانَ في روحي؟

ينتابُني الغرق.

**

(عبث)

كلُّ هذا البؤس آتٍ من اللا شيء!

**

يا إلهَ السماوات..

ارفعني إليك ذنبًا – لا مغفرة..

أريدُ أن أدخلَ الجحيمَ طوعًا.

الانتظار

كلُّ الاتجاهات تأخذُني إليكِ،
ربّما أنتِ المدينة،
أو أنكِ شيءٌ بالغٌ الصِّغر عالقٌ في عيني.
أنتظركِ كالخيطانِ التي ربطنَاها بحجارةٍ
وعلّقناها على أعمدةِ الكهرباء يومَ كنّا أطفالًا،
وكانتِ الطائراتُ من ورق،
وعُلَبُ السردينِ قطاراتٍ
كسور الجليد،
وعلى وجهي ملامحُ (تيريون لانستر)،
عندما أحرق التنين (ويستروس).
كقصيدةٍ تافهةٍ لمْ يصفّقْ لها أحدٌ.
كآثار خطى (نيل أرمسترونغ) البعيدة.
كهاتفٍ معطوبٍ منذ آخرِ مكالمةٍ،

وما زلتُ أنتظرُك..

كسترات النجاة التي رماها اللاجئونَ على الشاطئ عندما وصلوا!

كشجرة بلاستيكيّة لن تكبرَ في غيابكِ، ولن تأوي إليها العصافير!

ك (مانيكان) يبكي ويضحكُ بلا شعور،

يفكّر بك دون أن تتغيّرَ ملامِحُهُ،

وعندَمَا يموتُ، – رُبَّما لن يموت –،

لنْ يضعوا شاهدًا فوق قبره، ربما لن يكونَ له قبر.

**

كرصاصةٍ فارغة..

عينايَ ترقبانِك من كلِّ الثقوب التي أحدثتْها الحربُ في حارتنا.

تخلّي

انفَضُّوا عني بسببِ الجَلَبةِ التي أحدثتُها
ولم ينتبهْ أيٌّ منهم أنني كنتُ أتخبَّطُ لانتزاعِ سكينٍ
مغروسَة بعمقٍ في خاصرَتِي.

ندم

أقصى طموحِ مَن اقتُلِعَت عيناهُ
أنْ يبكي..
أقصى طموحِ مَن بُتِرَتْ يداهُ
أن يُصافِحَ يدًا أخرى..
كانَ عليَّ أنْ أتبرَّعَ بجسدي
لكي أشاهدَهُ يفعلُ شيئًا ما
كاحتضانِ أحدِهمْ
أو البكاء على الأقلّ
**

نادمٌ

كنادلٍ وحيدٍ في حانةٍ غادرَها السُّكارى لتوهُّم
كالموسيقا التي تركوها تَصدحُ هباءً..
أنا نادم.

**

نادمٌ

كوحشٍ أصابَهُ العَمَى
كغابةٍ ترى المِنشار للمرة الأولى
كمُهرِّجٍ لا يَملُكُ حسَّ الفُكاهَةِ
كعجوزٍ تنظرُ في المرآةِ

**

أنا نادم.

**

أنا الذي جاءَ يظنُّ أنَّهُ في موعدِهِ، فوجدَ الحفلةَ قد انتهَتْ.

السراب

(1)

عزيزي فارس..

أصدقُ ما يفعلُه ابنُ آدمَ أنْ يبكي وحيدًا،

وإنِّي أرى العالمَ بموتِكَ دجاجةً تَقِفُ على ساقٍ واحدة،

فهلْ ترى أنَّني شِخْتُ فجأةً؟

**

(2)

جئتُ لأقنعَ العالمَ بي،
ولمّا تعبتُ اقتنعتُ بأنَّني لستُ موجودًا.
النارُ والبراكينُ في رأسي،
والعالم شيخٌ
يحاولُ عاجزًا أنْ يطردَ الذبابَ عن تجاعيد وجهِهِ.
**

(3)

كُلَّمَا مَشيتُ يلعنُني السَّرابُ،
والمكانُ حَولي خَرابٌ مثلَ ذاكرتي.
رفعتُ قدمي فوقَ ذلكَ الصرصورِ،
ولكنّني لمْ أستَطعْ أنْ أُنزِلَها على جسدِهِ الصغير،
نظرتُ حَولي مرةً أُخرى وخرجت،
خرجتُ لَعلّي أجد أحدًا أكثرَ جرأةً منِّي،
حينَ تكونُ قدمُهُ فوقِي.
**

(4)

الطائرة..

قلقُ الشوارعِ الفارغةِ في الليل يُشبِهُني..

ربما أنا عابرٌ،

لا تراني الشوارعُ.

الطائرة..

يسقطُ قلبي،

مثلَ قطرةِ ماءٍ كانَتْ عالقةً في السَّقف،

كلما تذكّرتُ وجهَك خارجًا.

الطائرة..

لنْ ينجوَ البحرُ من الغرقِ،

ولنْ تبلغَ المدينةُ آخرَ الشَّارعِ.

الطائرة..

مزّقتْ جسدَه الصغير.

**

(5)

عزيزي فارس..

لقدْ توقّفْتُ عن خشيةِ اللهِ بعدَ رحيلِكَ؛
لأنَّني عرفتُ أنَّهُ لا يملكُ عقابًا،
أشدّ قسوةً مِنْ غيابِكَ.

الضوء

الضوءُ يجعلُ من الأشياءِ كذبةً، يُجبرُنا أنْ نصدِّقَها
ففي الظلامِ لا أرى فرقًا بينَ كفِّ يدي ووجهِكِ.
لَقَدْ سَئِمْتُ طفولَتي الدائمةَ..
اللَّعنةُ التي لَمْ تُفارقْنِي..
ما الحُلمُ إلا طريقٌ من دونِ وِجهة
ما العالمُ إلا مجموعةُ أطفالٍ خرجوا مِنْ رَحِمِ امرأة
**

أمشي..

والخوفُ في عينَيْ طفلٍ، ذراعُهُ مبتورةٌ،

أبني من جراحي قلاعًا وأَسكُنُها،

وأهجرُ وجهي مِنْ كَثرةِ الجِراحِ

**

أمشي..
حولَ عُنُقي شالٌ ومَشنقة،
أحلمُ برصاصةٍ تشدُّني من يدي،
وتأخذُني من هذا العالم.
**

أمشي..

روحي تملؤني صراخًا،
امتدّتِ الشوارعُ في جسمي إلى آخر النَّبضِ،
مَجزرةٌ تحلُّ في رأسي،
أنهرٌ تمشي على قدمين،
بشرٌ يتكاثرون،
أرصفة تموتُ من التعب،
أشجارٌ تَحرِقُ نفسَها.

**

أمشي..

وجدرانُ المدينةِ المتعبة

شيئًا فشيئًا ترسمُ اللَّحدَ لينامَ الجميع،

ليموتَ الجميعُ.

لمْ أعُدْ أعرفُ

خطاي تتقدّم، أم الأرضُ تمرُّ من تحتي؟

لماذا أكتبُ؟

كسفينةٍ أُطعِمُ حطامي للموجِ لأنني أخافُ الغرقَ؟

آهٍ.. لو أنَّ امرأةً لا أعرفُها

تمحو ملامحِي وتستردُّني إلى رحمِها.

**

فارس..

كفاكَ تدفُّقًا في دمي!

أريدُ أنْ أرسمَ معاناتي بخطٍّ سيِّئٍ،

وأخطاء لغوية

على ورقةٍ فارغةٍ؛

أرميَها،

وأكبُرُ دونَ أنْ ألتفتَ.

دون مستوى الرؤية

إنَّني كومةٌ من الزَّيفِ..
الشيءُ الحقيقيُّ الوحيدُ أنني مُتعَب
**
هذه الأيامُ؛ أعيشُ بِلا طائل،
مثلَ كرسيٍّ ذي ساقٍ مكسورة.
موضوعٍ مع بقيَّةِ الكراسي حول الطاولة،
لا لشيءٍ،
فقط كي لا يبدو المشهد ناقصًا.
**

لم أجدْ حزنًا ألعنَ منْ حُزنٍ لهُ بابٌ واحدٌ
أنْ تحزنَ
**
ولم أجدْ فرحًا ألعنَ من فرحٍ مخادِعٍ
كلّما خلا إلى نفسِهِ بَكَى
**
وإنْ غادرَ الله سيظلُّ الكونُ يصلّي لمخاوفِه
**

أبعدُ المسافاتِ أنْ تمشيَ بلا وِجهة
وتتمنّى أن تصلَ.
**
أنا لستُ أعمى!
العالمُ دونَ مستوى الرؤية.

نداء الفراغ

إنني فَزِعٌ لدرجةٍ يصعبُ التعاملُ معَها
بِتُّ أجفَلُ حتى حينَ تلمسُني يدُ الطُّمأنينة.
**
أحيانًا تمرُّ عليَّ أيامٌ أتألَّمُ فيها،
وأنا أعرفُ أنَّهُ لا داعيَ لهذا الألم.
باتَ الأمرُ لديَّ شبيهًا بأن ترتدي قميصًا لا يُعجبُكَ،
ولكنَّك لا تملكُ غيرَهُ.
**

على عكسِ ما يحدثُ للبشرِ الطبيعيين،
كُلَّما ذهبتُ خارجًا،
أعودُ وقدْ خسرتُ شيئًا منْ نفسي.
باتَ قريبًا ذلكَ اليومُ الذي سأعودُ فيهِ،
ولنْ يَعرِفَ مِقْبضُ بابي ولا سريري ولا كرسيُّ مكتبي
أنَّني عُدتُ أصلًا.

**

تركتُ حياتي تحدثُ أمامي كمُشاجرة،
لم أتدخلْ لفضِّها، ولم أكنْ طرفًا فيها.

المعركة

لا صلبانَ اليوم..
الجثثُ يصلُبُها الغُبارُ..
لمْ يعُدْ للمَوتى طريقُ رجعةٍ إلى البُيوتِ،
أشلاؤهم فقطْ تتذكّرُهمْ وَتَبكي
**
صريعًا تائهًا أسألُ:
مَنْ أشعلَ النيرانَ في صوتي؟
مَنْ ربُّ هذا الدخان؟
**
أُقسِمُ بذاتِ الجُثثِ النائمةِ في عُنُقِي
كطفلٍ تصرخُ الطائراتُ في أذنَيْه
نمتُ صريعًا
ثقيلًا كالعائدينَ مِنَ المعارِك.
**

صريعًا تائهًا
أضحكُ من جنونِ المَوتِ
والمعاركُ في مُخَيِّلَتي
تلحقُ المقاتلات..
صوتي في المَدى
وقلبي ها هنا صخرةٌ..
تشقُّ المدرّعاتُ صدري وتمضي،
والمدافعُ تصرخُ.
ما ألذَّ البكاءَ والجثثُ تملأ دماغي!
ما ألذَّ البكاءَ وحرارةُ الدَّمِ تسيلُ كشهوةِ المقاتلين!
**

قربَ الحواجزِ المدجّجةِ
دماغي ممتلئٌ جثثًا،
ذاكرتي مجزرة..
منافقٌ أبتسمُ لقاتلي..
كافرٌ أصلّي لَهُ..
أشعرُ بالموت يتسلَّلُ كالدفء إلى راحة يدي
فأرفعُها..
سلامٌ لمن أبادوا أهلي،
ذبحُوا جُثَّتي وأطعموني لحمَها.

اليتيمُ

يسكنُ اللهُ قلبي، وأنا لا بيتَ لي
مِشنقتي بين يديَّ
وأحلامي في الظلام
وكلُّ تلك النجومِ هناك،
تدحرجَتْ من جيبي المثقوب
**
لو أن مجيئي إلى هذا العالم كان اختياري
لظللتُ أؤجل الأمر
إلى ما لا نهاية
**
كلما تعبتُ
أحضنُ جسدِي وأنام
لو – أنني خُلقتُ أعمى – لظللتُ على اعتقادٍ
بأنني عصفور

بكاء

أبكي وحيدًا..
الخريفُ يَشقُّ حنجرَتِي شيئًا فشيئًا.
بكاءٌ قديمٌ في ملامحِي (ملامحٌ مِنْ ورقٍ)
وسُقوطيَ السَّنويُّ
ينتابُني البكاءُ كالعتمة الحارّةِ،
كالشَّهوةِ التي لا نُسيطرُ عَليها.
**

كنتُ أَوَدّ لو أرمي وجهي جانبًا وأهجرَهُ
كما يهجرُ الأطفالُ ألعابَهمْ ويكبرُون،
كما تهجرُ العصافيرُ أَعشاشَها
يومَ يُصَبُّ على جسمِها الريشُ فتطفو على وجهِ السماءِ
وأموتُ،
والذي يموتُ لا يُغمضُ عَينيهِ
بل يَبصُقُ على ماضيهِ ويرحَلُ،
وأرمي حُلمي حجرًا على ذاكرتي
التي تُشبهُ عُلَبَ السَّردين القديمة
التي يجرُّها أولادُ الحارة
فتسمعُ لها صوتًا حزينًا،
ربما ليس صوتَ اصطدامِ المعدنِ بالطريق،
ربما يكونُ بكائي،
بكائي وأنا وحيد.

تعب

الغربانُ..
كل الغربان أوتْ إلى قلبي!
كيف سترحل؟
سألبسُ الماضي حذاءً وأمشي
أمشي مُتعبًا
جثتي دبابة قديمة؛ يفترسُها وحشان
الصدأ من كثرة الانتظار تحت المطر
والندم من كثرة البيوت التي هبطت على رؤوس أصحابِها
**

متعَب..
والليل يذبحُ العابرينَ على مجرى دمٍ واحد
لكي لا يضلوا طريقهم إلى تلك الأبنية المليئة بالغرف المربّعة
**

متعَب..

لم تعُد مشكلتي في كوني لستُ سعيدًا
تفاقَم الأمر
لدرجةٍ أنني لم أعُدْ أشعرُ بالأسى أيضًا
**

إلى أين تأخذُني خطاي؟
ذاكرتي قرية موبوءة
حتى العصافيرُ غادرتْ رأسي
تغمُرُني شهوة، أجهل طعمَها
حرارة الدمع والقصيدة
لمن أكتبُ أيّها البؤس؟
وأنا أعرف جيدًا
أن الحياةَ سفينة ضخمة تحاول أن تُبحرَ في التراب
والموت يأتي بحجم حبّة القمح

جنازة

(1)

أنا المَيْتُ
وفي فَمي مرارةُ هذا العالمِ كلِّهِ!
لم أعدْ أعرفُ طريقًا إلى رحمِها
جثتي ذبيحةٌ،
ورأسي يضربُ الأبواب.
إخوتي: لافتاتُ الموتِ بينَ حُطامِ المدينةِ..
أينَ الله؟
أينَ الاتجاهات؟
**

(2)

آهٍ حبيبي!
مَن سافرَ في وجهي مثلُك؟
ووجهي الخرابُ..
متى وُلِدْنا كي تموتَ؟
مَنْ سَيرثيني غدًا؟
مَنِ المُجْرِمُ؟
مررتُ والسكاكينُ في جُرحي،
وفي جُثَّتي رائحةُ الحَريقِ..
مَنْ أرسى الجبالَ في حلقي؟!
مَنْ فتحَ أبوابَ الجحيمِ؟
مَنْ ذبحَنِي أمامَ عيني لتبكي نفسِي على نفسِي؟
**

(3)

*حِزن إمِّي غريب..
متى انتحبتْ وفي ثَوبِها رائحةُ الموتى والقبورِ..
*حِزن أَمِّي غريب.
والسماء ندّابةٌ، امتلأ صدرُها بالبكَّائين.
*حِزن إمِّي غريب..
وأنا كالغرابِ جئتُ منَ البعيد..
ابتسمتُ لمَنْ ذَبحوهُ، اقتربتُ من رَحمِها ونمتُ هناك،
ورأيتُهُ في المَنامِ يبتسم!

حين طَردتُ وحدتي خارجًا

يمرّ الوقتُ هيّنًا، كساعة في يدِ أرملة
أحدّق بـ (رزان) على الجدار (أقصِدُ صورتَها) قائلًا:
نسيانُكِ لا يحتاجُ إلى الكثير من العناء
فقط قليلًا مِنَ الجُرأة ومسدَّسًا جيدًا
**

أحكي للمنبّه نكتة،
لا هو يضحكُ
ولا أنا أكفُّ عن تكرار سذاجتي
أبترُ يدي، أرميها عن بُعدٍ في سلّة القمامة
أفرحُ لأنني أصبتُ الهدفَ
أغضبُ لفعلتي الشنيعة
أحاولُ عبثًا تركيبها من جديد
أفشلُ مرةً أخرى
فأرفعُها..
سلامًا أيّها الملل
**

أكرّرُ ما قلتُه في الأمس وقبل الأمس
أيّتها الوحدةُ القاسية؛ خذي كل شيءٍ وغادري
خذي صمتيَ الطويل؛ إنّه على مقاسِك.
خذي مراسلتي الأخيرة مع (رزان)،
فيها الكثير من الكذبِ الممتع
خذي فرشاة أسناني فلم أستعملْها كثيرًا
خذي قميصيَ البني؛ أهداني إياه شخص لم أعُد أطيقُه
وخذي من فضلِك كيسَ القمامة.
ارميه عند البابِ خارجًا.
لا، لا، خذيه معكِ..
أخاف أن تطرقَ يدي البابَ مجدَّدًا،
أكره النهوضَ لأسباب تافهة.
أقولُ لك شيئًا..
هاكِ يدي الأخرى لعلهما تتسكّعان خارجًا
وتضِلان طريقَ العودة.
لعلّهما تجدان شخصًا آخر غيري، أكثر ظُرفًا مني،
عندما يكون وحيدًا.

دخان

يا ربَّ هذا الدُّخانِ الطالعِ من عيونِ الشُّعراءِ
منْ جيوبِ الفقراءِ..
الشوارعُ بينَ الحينِ والآخرِ تتقيّأُ الرُّكامَ.
**

شعبٌ بأكملِهِ تحوّلَ إلى ثقوبٍ في الجُدران!
ظلامٌ يطفو في عيونِهِمْ!
أنهرٌ من سيوفٍ ونِعالٍ تنحدِرُ في حناجرهِمْ.
يهتفونَ:
يا ربّ هذا الدخانِ، يا ربّ هذا الدخانِ، خُذنا إليكَ
**
وأنا
أسقطتُ رأسيَ في البِئر،
زرعتُ مكانَهُ شجرة!
مخاطبًا شعبي: انتحروا جميعًا
لكي يجدَ السجَّانُ نفسَه وحيدًا بينَ جُدرانِ سجنِهِ،
لكي يُصبحَ الجلّادُ عاطلًا عنِ العَمَلِ.
أريحوا القاتلَ مِنْ مِهنَتِهِ المُتعِبة.

سقوط

دائمًا نسقطُ في داخلِنا؛
لأنَّ الأرضَ قريبةٌ،
لا تكفي المسافةُ لنشعُرَ بالسُّقوطِ،
جبرائيلُ أرجوكَ اقلبِ السَّماء..
**
أشدُّ أنواعِ الغُربةِ لعنةٌ
أنْ تشمَّ الرحيلَ في كلّ الأشياءِ،
ولا تدري إلى أين ترحلُ
جبرائيلُ: دعِ السَّماءَ وشأنَها.

شهوةٌ ولم تعبُر

***هذا النصُّ مجموعةُ مشاهدَ مترجمةٍ من مخيّلةِ طفلٍ بائعٍ متجوّلٍ في الر ابعة عشرة من عمره.**

...

في داخلي يتيمٌ لا يسكُتُ،
منذُ أنْ عرفتُهُ لم ينقطعْ عنه البكاء..
منذُ أنْ عرفتُهُ أعطيتُه وجهي،
منذُ أنْ عرفتُهُ لم يستقرّْ.
وحدَهُ الشريدُ لا تعنيهِ الأمكنةُ
فهو موجودٌ حيثُ يسقطُ وجهُهُ تعبًا.

**

كلُّ مَنْ أُحبُّهم أشباحٌ بداخلي،
كل من أُحبُّهم أشباح
الريحُ في أصواتِهم
نحيبُهم يُقلقُ سكينتي فلا أنام..
أحياءٌ يسكنونَ القبورَ،
قبورُهم تسكنُ قلبي
وفي قلبي يتيمٌ يُشبهُني
أخافُ أنْ يعرفَ أنَّهُ أنا..
أخاف أنْ يُفلتَ يدي
فيفترسُ الليلُ جسدَهُ..
**

وجهي الرَّصيفُ

وكلُّ امرأةٍ عابرةٍ أُمّي

**

وجهي الرَّصيفُ

«بس الغريب إنها تمُرّ وما تعَبّرني

وما بتطلّع فيني حتى»..

**

وجهي الرَّصيفُ

للمارّينَ ضجيجٌ يُخيفني

فأتلاشى

كأنهُ النومُ..

يجتاحني فأنسى كلَّ مَن رأتهم عيني.

أيُّها المَدى

أيُزعِجُكَ زفيرُ المتسوِّلين؟

**

أشتهي الموتَ
كُلَّما راوغتْني شَهوَتي كذئبٍ..
أشتهي المَوتَ
كُلَّما رقصَ الجوعُ فيَّ كمذبوح
وكُلَّما حالَتْ بينَنا يدُ الفَقْرِ
أشتهي أنْ يرتمي وجهي على صدرِكِ وأجهشَ بالبُكاء..

– ليش أهلك زاتينك عالطريق؟
– عم بشتغل! عم ساعد أهلي!
**

وبينَ عاهرةٍ وعاهرة،
أشعرُ أنَّي الآنَ أَبْلغُ.
يغمرني الدفءُ ويرتَخي جسدي،
وأَتَحسَّسُ الشعرَ يعشبُ الآنَ فوقَ جِلدي،
في تلك الزواريبِ الضيّقةِ والأغاني الصاخبةِ،
كنتُ كالحجرِ،
أَبكي من دونِ صوت.
أُراقبُ أرجلًا ونهودًا تمرُّ أمامي،
بوجهي الشاحبِ أُراقبُ جيدًا،
كأنني أحرسُ شَهوَتي.
**

واحدٌ مِنَ المتسوّلينَ تذبحُني كلُّ عابرةٍ.
ما أجملَ الموتى في الشوارعِ،
السُّكارى أمواتٌ في الشوارع،
النساءُ أكوامُ لحمٍ وفي داخلي ذِئب.
ليتَني أتقمَّصُ الجُدرانَ،
ليتني أراني كَما تَراني هذهِ الجُدران،
أمرُّ مرورَ الغُرباءِ،
وجهي فارغٌ،
جيوبي فارغةٌ،
وعمري يَنقُصُ كأحجارِ هذا الرَّصيف،
لحظةَ الكتابةِ تشبِهُ لِذَّةَ التَحديقِ بِهَا
رجلا تلك المرأة خطيئة
سأُحَاسَبُ عليها لاحقًا.
**

قلبي شريدٌ.. ووجهُ اللهِ واسعٌ،
وكل اللافتاتِ تشيرُ إلى التَّعب.
كتلةُ لحمٍ مُتشَرِّدةٍ،
أبحثُ عن يدٍ دافئةٍ تكنُسُني عن هذا الرَّصيفِ..
تائِهٌ، أشلائي في الشَّوارعِ، تائِهٌ،
دموعي في الشوارعِ،
والشَّوارعُ لا تنتهي..
غسَلوا المدينةَ كُلَّها،
خَلَدوا إلى نومِهمْ،
وتَرَكوا أوراقَ النَّعيِ معلَّقةً..
أينَ أهرُبُ وفي الأرضِ قبرٌ وفي السَّماءِ قبرٌ،
وهذهِ القططُ المَتروكَةُ تعرِفُني أكثرَ مِمَّا يعرفُني أَهلي؟
**
كتلةُ لحمٍ متشرِّدةٍ، حاملٌ سلةَ الورودِ،
وخلفي مدينةٌ عاهرة،
كلُّ يوم يفضُّ الليلُ بكارتَها ويعبُر.
**

مشيتُ في غُربتي حتّى صِرتُ أشمُّ في أحضانِ العاهراتِ أُمومةً،
وأتوهُ عن جسدي من كثرةِ الجدرانِ في المدينةِ،
ويسقطُ وجهي تعبًا كما يسقطُ الموتى على فراشِ الموتِ..

**

الآنَ..
ما أبعدَ يدَ أُمي، ورحمةَ اللهِ عنّي!

صورتُكِ المعلَّقةُ على الجدار

بنظرةِ الترجّي على وجوهِ القُرباط أرقُبُ مجيئَكِ،
لا أنتِ تأتينَ،
ولا أحدَ يدسُّ في يَدي ليرة..
مللتُ التفاوضَ مع الانتظارِ،
مللتُ قضمَ أظافري،
وقلبي اللعين – للمرّةِ الألفِ – أطردُه خارجًا ويرجِعُ.
**

إنّكِ عَبرةٌ تقفُ خلفَ عيني،
لهذا كلما تذكّرتُكِ أبكي،
كدتِ أن تكوني لعنةً، كدتِ،
ولكنّني، كما تعلمينَ، أبالغُ في تقديرِ الأمور.
**
أُحدِّق طويلًا في صورتِكِ المُعَلَّقةِ على الجِدار
لأُبدِّدَ القُبحَ الذي يملأُ عيني،
وأكرِّرُ اسمَكِ مراتٍ عِدَّة.
هكذا أستطيعُ أنْ أبلعَ المرارةَ التي تغمرُ فَمِي.
**
إنَّني معكِ كالمُدمِنينَ
في كُلِّ مَرَّةٍ أحتاجُ إلى جُرعةٍ أَعلَى
أخبريني إذًا:
كيفَ أتخلَّصُ منكِ إن كنتِ لا تتسبَّبينَ بالمَوت؟
**

في طريقي إلى نسيانِكِ
هاجمتْني كِلابُ الذَّاكرة
مَزَّقتْني،
أكلتْ أجزاءَ متفرّقةً مِنْ جِسمي
كلابُ الذّاكرة لا تأكلُ الخُبزَ،
لا تنخدعُ بالأغاني العاطفيَّةِ،
أعودُ إلى غرفتي مُمَزَّقًا مُتعَبًا،
صورتُكِ نفْسُها تنظرُ إليَّ،
ترمُقني بنظرةٍ باردة! تستفزُّني..
أَنهضُ مُسرِعًا
أبحثُ عنكِ في تفاصيلِ المَكانِ
في الدُّرجِ، تحتَ الطاولةِ، قُربَ المُنبِّهِ..
أرفعُ فِنجانَ الأمْسِ، فلا أجدُك تَحتَه..
أضربُهُ عَرضَ الجدارِ..
مخاطبًا صورتَكِ: لا تقلقي سأنظِّفُ المَكانَ،
ولكنْ قولي لي:
مَنْ سيلمُّ حُطامي أنا؟

ظلّ

امشِ على جَسدي،
على حُطامِ المدينةِ واعبُر..
إنَّ الحنينَ أبلغُ مِنْ صُراخِ القنابلِ
وبَطْشِ الطائراتِ..
**
تعالَ.. فالحربُ كلبةٌ
تقتلُ جِراءَها واحدًا تِلوَ الآخر وتَعْوي..
تعالَ نَغفُ على طَرفِ المَقبرةِ لَعلَّهم يَرجِعون،
أو لَعلَّنا نُزهرُ هناكَ ليَرتاحَ المتعَبُونَ..
تعالَ..
للمقاتلينَ مِزاجُهُمُ الغَريبُ..
قَدْ يُحبُّ أحدهم الموتَ أحيانًا
فيتركُ المعركةَ ويصيرُ في طابورِ الضَّحايا..
**

حبيبي فارس..

الحياةُ قاربٌ مَتروكٌ،
والنومُ غُربةُ الأَجسادِ،
وغُربةُ الأجسادِ أنْ يغادرَها ساكنوها،
وأنا ما زِلتُ لا أفهمُ
كيف أكبُرُ ومخيّلتي لا تصلُحُ إلا لطفل؟!

**

بلا مَوطنٍ جئتُ يملؤني الحنينُ،
عائلتي الضَّياعُ وأبي تشرُّدي..
كالغرباءِ أنامُ على يدٍ وأتغطّى باليدِ الأُخرى..
كهذا الشارعِ وعابري السَّبيلِ،
ذاكرتي تعجُّ بِمَنْ أَحبَبْتُهُمْ ورحلوا..
الأضواءُ الحزينةُ، وعُمَّالُ النَّظافةِ،
وهذه الحَشَرةُ الصغيرةُ
يعرفون أنَّ بكاءَ الغريبِ بِلا جَدوى،
وَأنَّ هذه الطُّرقاتِ تشبهُ وجهَ أمّهِ، وجيْبَه الفارغ.

**

بلا وجهِكَ جئتُ..
أضلعي عطشٌ طويلٌ،
حنيني يُجرجرُني خلفَ امرأةٍ
إلى آخرِ الشَّارعِ يَمتدُّ نظري
وظلّي المُعاقُ يحضنُ الرّصيفَ بشدّةٍ
وأبكي ويَبكي..
وحدَهُم المتعَبون لا يَضلّونَ الطريقَ إلى أحزانِهم،
وأنا كالشَّجرِ أموتُ وأحيا على ساقٍ واحدة.

عبثٌ

(عبث)

أنزلَ اللهُ سكينتَهُ على المؤمنين

وأنا أشعرُ أنَّ رأسِي قريةٌ مهجورة،

تنبحُ الكلابُ فيها بلا سبب.

**

(عبثٌ آخر)

أحمِلُ في عيني قبرَيْنِ، وأَرى المكانَ حَولي جُثَّةً هامدةً،
أخافُ قليلًا، ثُمَّ أهدأُ،
أحمِلُ في قَفصيَ الصدريِّ تابوتًا،
فيهِ جثّةُ أَخي والبقيّةُ،
يُوقِعُني الخوفُ من جديدٍ ثُمَّ أنهضُ..
أحمِلُ ظَهري على ساقَيْنِ نحيلتَيْنِ،
وفَوقَ ظَهري أحمِلُ همومَ العَالمِ،
وأسمعُ بأذُني الأرملتَيْنِ صوتَ المَجازرِ..
وطائراتٍ يملؤها الحقدُ أكثرَ مِنَ المَوادِ القابلةِ للانفجارِ..
أَنطوي على ذاكرتي،
أحضُنُ جسدي وذلكَ الخوفَ..
شفتاي تُتَمتِمُ أسماءَ القَتلى،
وفي مخيّلتي سِربُ أطفالٍ يَصرخون.

عبُور

آمنتُ بجُرحِي وصدَّقتُ
خَوفِي أنْ تفلتَ يدي.
لا موتَ يجمعُنا،
والرَّصاصةُ لا تتّسعُ لاثنينِ.
يسكنُ الموتُ فَمي،
كُلَّما قلتُ شيئًا أَموتُ.
ويضيءُ الخوفُ فِي عَيني
كطفلٍ مزّقتْ جسدَه الطائرةُ،
أحتمِي بظلّي مِنَ الغُرباء.

عند مَفرقِ الجِسر

عندَ مَفرقِ الجِسرِ خَسرتُ الكثيرينَ..
وذلك القنّاصُ اللَّعينُ لمْ يَنتشِ بَعدُ.
ما زالتْ في جعبتِهِ ذخيرةٌ،
تُرى مَن التالي؟
مَن ستأتيهِ الرصاصةُ الأخيرةُ؟
**
عندَ مَفرقِ الجِسر
مِن هُناك يبدأُ الاشتباكُ..
أفيقوا يا أولادَ حارتِنا، فالموتُ على الأبوابِ
ألقوا نظرةً أخيرةً على أَلعابِكم وصدورِ أُمَّهاتِكم،
فالمِدفعيَّةُ تَكرَهُ الانتظار
**

عندَ مَفرقِ الجِسر
ينسى كلٌّ منّا مَلامِحَ الآخرِ..
وحدَها ملامحُ السَّفاحِ تراودُنا جميعًا..
لِلخَوفِ حينَها لَذَّةٌ غَريبةٌ،
هاجسُ الخَوفِ يَرفعُنا عَنِ الأرضِ فنركضُ في حُشودٍ،
نشقُّ العَتَمةَ والفراغ..
اهربوا جميعًا واتركوني وحيدًا
بي رَغبةٌ عارمةٌ لرؤيةِ السَّفّاحِ
مُقرِفٌ أن تجهلَ الضَّحيّةُ لونَ عينَيْ قاتِلِها.
**

(عبث)

استأجرَ الموتُ بيتَ جارتِنا الأرملةِ من دونِ أنْ يدفعَ لها شيئًا..

**

شارعُنا ماتَ منتحرًا

وشجرةُ الكِينا عندَ بابِ البيتِ فقدتْ صوابَها

والآنَ..

لا شيءَ يَرثي الصَّديقَ سوى المزيد مِنَ البُكاءِ،

وسَحْقِ أعقابِ السَّجائرِ في تُرابِ المَقبرةِ.

ها أنا أبكي

وفي حُنجرتي قِطَعٌ منَ النُّوتياءِ تهزُّها الرِّيحُ بينَ الحِينِ والآخر.

آهٍ يا صوتَ المَعدنِ!

ما الذي أَبكى الحَديدَ؟

أَذلكَ الصدأُ دموعٌ جافّةٌ؟!

**

يا الله انزلْ لتحملَ معي كلَّ هذا الرُّكامِ ولنبكي معًا،

عندَ مفرقِ الجِسر.

غيابُكِ

أعراضُهُ يمكنُ أن تشمُلَ:

الإعياءَ

الحُمَّى

نقصَ وزنٍ غيرِ مُتعمَّدٍ

أنيميا.

* الألمُ من أكثرِ الأعراض شيوعًا

(تلكَ أعراضُ سرطانِ العظم، نسختُها من ويكيبيديا)

فوارغُ الرصاص

(1)

تتشقّقُ الأرضُ حينَ يتأخَّرُ المطرُ
كأنَّها تنتقم!
تبدو الشَّوارعُ بائسةً عندما لا تطرُقُها خُطانا
كأنّها ترحلُ هي الأخرى،
ويختفي الشِّعْرُ عندما ترحَلُ الدهشةُ
كأنّه في مكانٍ ما يقرأُ قصائدَ للأشياءِ البَاهتةِ.
وقلبي العالِقُ في السَّقفِ
مثلَ خفّاشٍ نائمٍ بالمَقلوبِ،
يكادُ يفرُّ من جسدي!
تُرى ما الذي يقولُهُ شاعرٌ
أفاقَ على آخرِ خَمسِ دقائقَ من عمرِ الكونِ؟
**

(2)

على قارعةِ الطريقِ وحيدًا
أرسمُ للعابرينَ وجوهَهُم،
وأنا بلا ملامحَ أتسكّعُ مثلَ شهوةٍ عارمةٍ
تبحثُ عن الدفءِ بينَ الأحذيةِ والجدرانِ المُتْعَبة.
هنا لا يتّسعُ الشارعُ لاثنين:
فإمَّا الشاعرُ وإمّا قصيدتُه،
إمَّا القاتلُ وإمّا ضحيّتُه،
إمَّا البحرُ وإمّا الغرقُ..
وهنا الإشارةُ البرتقاليَّةُ تعني: أغمِضْ عينيكَ!
والإشارةُ الخضراءُ تعني: اِضغطْ على الزِّناد!
**

نعم.. النوارسُ لا تُحبُّ البَحرَ،
إنّها تقيمُ عند الشاطئِ
لتلعنَ المسافرينَ والّذين ينتظرونَهم عند الميناء.
ونحنُ – السوريّون – أسرابُ طيورٍ مهاجِرة.
سلامًا يا بيروت
يا مدينة القلق..
الواسعة حد الشتات
الضيقة إلى درجة لم أجد فيها شبرًا يتّسِع لِقلبي
**

(3)

المُتعَبونَ:
قِطَعُ خشبٍ..
نطفو على وجهِ الماءِ علّنا نعْبرُ جراحَنا بأقلِّ الخسائر..
مهاجرون وكلَّما رَكِبَ البحرُ سفينةً تَغْرَق.
حلبُ التي في داخلي تكبُرُ في الدقيقةِ الواحدة سبعينَ عامًا،
والغوطتانِ طفلتانِ تبكيانِ في قلبي..
أسماءُ المناطقِ تنمو في ذاكرتي كالعشب:
بنش/ مضايا/ سراقب.
أصواتُ الانفجارات التي أدمنتُها
جعلتني أحلمُ بالعَيشِ على ظهرِ دبّابةٍ،
وبتُّ آكُلُ أكثرَ منَ المُعتادِ
لعلَّ الأطفالَ المحاصرينَ ينسَوْنَ الجوعَ وينامُون.
وأسألُ نفسِي كلَّ يومٍ:
هلْ يَشمُّ الجُنودُ فوارغَ الرَّصاصِ بعدَ المعركة؟

في رثاءِ الملل

(قبلَ قليلٍ) انقطعَ الإنترنت بسببِ المطرِ والعاصفةِ، يعني أن السَّماءَ غاضبةٌ، قد يكونُ للأمرِ علاقةٌ بالغِيرة، السماءُ تقولُ: أنا أجملُ، الشرفةُ مغلَقةٌ بإحكامٍ فتحتُها وخرجتُ.. الظلامُ خارجًا يبدو كئيبًا بعضَ الشيءِ، إذا نظرنا إلى أعلى، أما في الشارع على الأرضِ، تتهامسُ أعمدةُ الكهرباءِ فيما بينها: إذا كان الشارعُ خاليًا تمامًا فما الفائدةُ من وقوفِنا هنا الآن؟ أظنُّ أنّ الأضواءَ سترحَلُ إلى بعيدٍ دونَ أن تبرحَ مكانَها، وأنا أتجاهلُ السماءَ وأرجو انقطاعَ المطرِ وعودةَ الإنترنت.

ها قدْ عادَ، أغلقتُ الشرفةَ في وجهِ الريحِ، وعدتُ إلى الإنترنت لأكتبَ عن المطرِ. المعادلةُ واضحةٌ: المطر والإنترنت ونحن. المعادلة سخيفةٌ، ما معنى أن نحبَّ الإنترنت ونتجاهلَ المطر، أو نقفَ على الشرفة بلا إنترنت؟ لا معنى لهذا كلّه.

**

في العام الماضي كنتُ حزينًا جدًّا، أمسكتُ بالقلمِ والدفترِ ورسمتُ وجهًا مبتسمًا كنوعٍ من أنواعِ العزاءِ لنفسي، وبعدَ أيامٍ ما زلتُ حزينًا. صدفةً فتحتُ الدفترَ؛ فوجدتُ ذلك الوجهَ على الابتسامةِ ذاتِها.

**

نَعمْ..

(قد تقودُكَ السَّذاجةُ إلى أنْ تعطفَ على الملِ، وتربّيَهُ في بيتِكَ، وتتركَ لهُ البيتَ أحيانًا).

قصةُ حبٍّ شرقيّةٍ

أبحثُ عنكِ في شوارعَ لستِ فيها..
أبحثُ عنكِ
وأعرفُ أنَّني لنْ أجدك
**
جُثَّتي مذ غادرتِ فطيسةٌ..
وذكرياتُنا سِربُ طيورٍ جارحة.

مثلَ عَبَراتِ البُكاءِ

في آخرِ الليلِ عندما تفرَغُ الشوارعُ،
وإشاراتُ المرور تنطفئُ وتضيءُ
بلا فائدة..
يخطر لي أحيانًا أنْ أستأجرَ أحدَهم،
فقط ليذكّرَني بين حينٍ وآخرَ أنَّ الذين خذلوني
لنْ يَرْجِعوا مرةً أُخرى،
لن يندموا لفعلتِهِمْ.
**
في تشرينَ،
كلُّ يومٍ أُخرِجُ كفّي المثقوبةَ منَ النافذةِ
كي أجمعَ الماءَ،
وهكذا في كلِّ عامٍ ينتهي الشتاءُ ويقتلُني العَطش.
**
لا يبدو الحُبُّ باهتًا بقدرِ ما يبدو حين يطؤه النسيانُ،
عندها يصيرُ تافهًا بنفسِ القدرِ الذي كانَ فيهِ مِنَ العَظمة.

عطش لا ينتهي

إلى فارس مرةً أُخرى

**

بفقدي لك
خَسِرتُ إحدى يديَّ
وحاولتُ مرارًا شنقَ نفسي باليدِ الأخرى.
ثَمَّةَ فراغٌ في روحي
حتى محاولةُ سدِّهِ تزيدُ مِن اتِّساعِهِ.

**

أبحثُ عنكَ
والحياةُ صحراءُ شاسعةٌ.
أبحثُ عنكَ
وغيابُكَ عَطَشٌ لا يَنتَهي.
**

لا شيءَ في هذا العالمِ الباهت
يُمكنُ أن تُقاسَ بهِ مرارةُ غيابِكَ
فغيابُكَ نفسُهُ تُقاسُ بهِ مرارةُ الأشياءِ..
لِذا فإنَّ الحياةَ من دونِك هيَ حياةٌ من دونك،
ولا شيءَ أسوأُ منْ ذلك.

مطر

مطرٌ على شفتَيْكِ
كأنّما كلماتي السَّماءُ..
وحزنٌ يجتاحُ وجهَكِ الصغيرَ،
وأنا في إحدى زوايا الغُرفةِ
مُبْتلٌّ بالصُّورِ والذِّكرياتِ..
مَطرٌ على ملامِحِ غُربتي،
أبكي بُكاءً ليسَ لي،
بعيونٍ ليست لي،
أَبكي بُكاءً مُستعارًا،
فهلّا غفرتِ دموعِي المُخادِعة؟

غُربة

كُلُّهم كتبوا إلى قراهم، وأنا
قريتي البعيدةُ لم تَعُدْ تعرفُني.
كُلُّهم مَوتى يرسُمُونَ حُزنَهم وخُطاهم بصمتٍ، وأنا
بلا جسدٍ أجوبُ الشوارعَ بقلقٍ.
**
عندما بدأَ البؤسُ يأكلُ لَحمي تركتْني الوحوشُ..
يُحزِنُني أكثرَ أنّني لستُ على الأقلِّ مجرَّد طريدة
ويدي التي وَسِعتْ غبارَ القُرى
فتحتُها ولمْ أجدْهُمْ!
**

أَمشي مُتْعَبًا..
جسدِي الكافرُ سأَصلُبُهُ،
أنامُ صريعًا..
مَقبرَتي ثيابي، وقيامتي جُرحي..
كلُّ الشهواتِ عابرةٌ،
وشهوتِي بينَ يَدَيَّ لم تَعبُرْ!
**
بائسٌ أيُّها العالَمُ
لا شوارعَ تُفضِي إلى يدِها،
والدروبُ مَلأى بلافتاتِ الحُزن
**
غربةٌ أيُّها العالَمُ
أنامُ كالأطفالِ
وأكبُرُ ليلًا كالأشباحِ بلا ملامِح
هل لأنني حزينٌ؛
كُلَّما وقعتْ عيناىَ على شيء أراهُ يبكي؟
**

(أبيض) قريتي البعيدةُ تنبحُ في داخلي،
ويدي التي وسِعتْ غبارَ القُرى..
فتحتُها ولمْ أجدْهُمْ!
لم أجِدْ بيتَنا، لا الطينَ ولا الحِجارةَ،
ولا وجهَ أُمي الواسعَ بلونِ الحِنطةِ!
لم أجدْ سوى بؤسِ الذاكرةِ ولعنتِها ولعنةِ القدرِ!
**
أأنا جبرائيلُ حقًّا!؟
**
فألعنُ جبرائيلَ أنا، وألعنُ المسافةَ وهذهِ المأساةَ
وهذا الليلَ الذي يعيشُ بلا وجهٍ ولا يملكُ هويةً.
**

إلى أينَ أهربُ؟
في الضوءِ أرى وجهَكِ،
وفي الظلامِ أرى الظلامَ،
أريدُ أن أَنسحبَ..
لا أرى شيئًا، ولا شيءَ يراني
كالجوعِ في بطونِ الفقراءِ،
كالخَوفِ في عُيونِ الهاربينَ،
كالحَياةِ في عيونِ المَوتى،
كمرآةٍ مفتوحةٍ على مرآةٍ..
جبرائيلُ: كلُّ شيءٍ كذبةٌ،
والأشياءُ الجميلةُ أكثرُ الكذباتِ دفئًا.
**

البحرُ مالحٌ والدمعةُ مالحةٌ،
وبيني وبينَ البحرِ جسدي،
وجسدي شريدٌ يشتهي البكاءَ إلى آخرِ الشاطئِ،
إلى أنْ يختفيَ وأبقى في مَكاني أفتقدُهُ، وأبكي أنا أيضًا..
اللعنة! لم يَشِخِ العالمُ بعدُ،
وأنا كبَرتُ بِهذهِ السرعة!

دفتر ملاحظات الهامستر 1

غيابُ البَهجةِ لِمدَّةٍ طويلةٍ قدْ لا يَضمنُ استمرارَ الأَسى فَحَسْب، بل قدْ يجعلُ مِنَ الأخيرِ شيئًا بديهيًّا. ذاتَ يومٍ واجهتُ موقِفًا يدعو للسَّعادة، وقدْ كانَتْ لحظةً صادمةً إذْ لم أدرِ ما عليَّ فِعلُهُ لأبدو سعيدًا.

**

إنني أَقيسُ علاقتي بالنَّاسِ عَن طريقِ الكَراهيةِ، فأنا يُمكنُ أنْ أُحِبَّ شخصًا لا أعرفُهُ، لِمُجرَّدِ أنَّهُ قال لي: «مرحبًا» بشكلٍ لطيفٍ.

أمَّا الكراهيةُ، فأنا لا أُكِنُّها إلا لِمَنْ حاولْتُ جاهدًا أنْ لا أكرَهَهُ.

**

أَحتاجُ إلى مَنْ يَسألُني: ماذا تفعلُ هُنا (أقصدُ في الحَياةِ)

لأجيبَه أنَّني فجأةً وجدتُ نفسي بينَ هَؤلاءِ البَشرِ، وبالتَّدريجِ بدأتُ أفعلُ ما يَفعلونَهُ، أَنامُ وأَصحو وَأذهبُ إلى العَملِ. وأعودُ مِنَ العَملِ لأَنامَ وأصحو وأذهبَ مرةً أخرى إلى العَملَ.

ويسألُ ثانيةً: ما المَغزى مِنْ هَذا؟

فَأُجيبُه بأنني لا أعرفُ، وهؤلاءِ أيضًا لا يَعرفون!

**

إنَّ النُّدوبَ التي تَتركُها قِلَّةُ المالِ، لا يُمكنُ لكثرتِهِ أنْ تمحوَها لاحقًا.

لقدْ صرتُ بحاجةٍ إلى طابعةِ أموالٍ، كي أُصلِحَ ما أَفسدَ في نَفسي افتقاري الطويلُ لدولاراتٍ قليلة.

**

أشعرُ أنَّني خائنٌ حينَ أَتذكرُ الأيامَ التي قضيتُها وحيدًا بائسًا لا يَسألُ عنهُ أحدٌ،

فأنا أيضًا تركتُ ذلكَ المِسكينَ هناكَ ونَجوت.

دفتر ملاحظات الهامستر 2

قدْ تصبحُ كاتبًا جيدًا حينَ تكتبُ ما يثيرُ دهشةَ الناسِ، ولكنَّكَ ستكونُ كاتبًا عظيمًا حينَ تكتبُ نصًّا يَصدِمُكَ أنت نفسَك.

**

ما تكتبُهُ يجبُ أنْ يُغيِّرَ واقعَ مَنْ سيقرأهُ، وإلا فلا تكتبْ مِنَ الأساس.

**

الجملةُ التي تقولُ بها ما قد يحتاجُ إلى روايةٍ لقوله، هي بِكلِّ بساطةٍ روايةٌ.

**

أقولُ للنَّاسِ: إنني كاتبٌ رديءٌ، فإذا كتبتُ شيئًا عظيمًا، سيقولونَ عني: كاتبٌ عظيمٌ متواضعٌ، وإنْ لمْ يَحدثْ ذلك، فقد أخبرتُهم سلفًا: إنَّني كاتبٌ رديء.

**

هناك نوعٌ منْ النَّاسِ لا يتوقفونَ عنِ الكِتابةِ الفارغةِ، وللمصادفةِ يتعثرونَ ببعضِ الجملِ الجَيِّدةِ، تلكَ الجملُ الجَيّدة نفسُها تدفعُهُم لكتابةِ المَزيدِ، وذلك المزيدُ كلُّهُ لا قيمةَ لَهُ.

**

إنَّ الكتابةَ عنْ أشياءَ لا قيمةَ لها بطريقةٍ عظيمةٍ، خيرٌ منَ الكتابةِ عنْ أشياءَ عظيمةٍ بطريقةٍ لا قيمة لَهَا.

**

أُريدُ أنْ أكتبَ نصوصًا قاتلةً، ولا أقصدُ المَعنى المجازيَّ للكلمةِ، بلْ أبحثُ عنْ نصوصٍ؛ حينَ تُقرأُ تنفذُ كرصاصةٍ مِنْ عينِ القارئِ إلى مُخيِّلَتِه.

بشرٌ وآلهةٌ وشياطينُ

اخترعْنا الشيطانَ كي يُمَهِّدَ لنا الطريقَ إلى الخَطيئةِ،
ثم اخترعْنا اللهَ كي يغفرَها لنا.
**
نحنُ – البشرُ – جائعونُ أبدًا
في دواخلِنا جوعٌ لا ينتهي،
وما إن ينتهي ذلكَ الجوعُ فإنَّنا سنَموتُ،
وأيضًا إذا متنا فسينتهي ذلكَ الجوع.
**
أيًّا كانت الثيابُ والعطورُ التي استخدمنَاها في الحياةِ
فإنَّ تَحلُّلَ جُثَثِنا
وتلكَ الرائحةَ الكريهةَ التي تنبعثُ منها بعدَ المَوتِ
هيَ حقيقتُنا الصَّارخةُ.
محاكمَةٌ عادلةٌ ننالُها جميعًا،
كلمةٌ أخيرةٌ تقولُها لَنَا الطَّبيعةُ:
كُلُّكُم متساوون.

نافذة

قذفتُ قلبي منَ النافذةِ وأغلقتُها بإحكامٍ،
وبعدَ قليلٍ سمعتُ أحدَهم يطرقُ الباب..
لم يكنْ قلبي قد رَجَع..
إنّها جارتي المُزعجةُ
جاءتْ تسألُني لماذا أتركُ كيسَ القمامة بالقربِ منْ بابِها!

جوعٌ لا ينتهي

عيناي مريضتانِ وفمي قاحلٌ،
أرى هذا العالمَ جثةً هامدةً
وأرى وجهَكِ،
وجهُكِ – في هذا العالم – يشبهُ الغناءَ في جنازة
**
وأنا بانتظاركِ أملكُ منَ الحُزنِ ما يحرقُ الغابةَ،
أملكُ منَ الفرحِ ما يطفئُ الحريق
**
لستِ مسألةً هامشيَّةً، إنَّكِ جوعٌ وعطشٌ..
لستِ وطنًا، إنَّكِ تشرُّدٌ وضَياعٌ،
لستِ انتصارًا، إنَّكِ مرارةُ الهزيمة..
**

في الطريقِ إليكِ تأكلُ المسافةُ قدمَيَّ
كأنَّ المسافةَ بينَنا قطيعٌ منَ الذئابِ الجائعة.
**
تخيَّلي كمْ ركضتُ وراءَكِ
لأكتشفَ متأخرًا أنَّك شيءٌ لا يمكنُني الركضُ تجاهَهُ
– لأنَّك أنا.
وأنَّني دونكِ مثلُ عازفِ ساكسفون فَقَدَ أصابِعَهُ،
لم يلمسْ أحدًا بعدَكِ؛
لأنَّكِ لمْ تكوني بالنسبةِ إليهِ آلةَ الساكسفون،
ولا حتى الموسيقا،
لقد كنتِ أصابِعَهُ!

نومٌ عميق

لا توقظِي نومِيَ العميق..
في غفلةٍ أنا، إلى أن ترجِعي،
إلى أنْ تقولِيها مرةً أخرى،
وذلك الشجنُ في صوتِكِ.
**

لا تُوقظِي نوميَ العميق..

رأسي شجرةٌ يهزُّها خريفٌ مُوجعٌ..

لا تسقطي أبدًا..

فأنا يا صغيرتِي وُلِدتُ في زنزانةٍ،

قضيتُ معظمَ الوقتِ أحلمُ برؤيةِ البَرقِ،

أو طفلًا يركضُ خلفَ النُّجومِ

أو امرأةً مسنَّةً وحيدةً تقطعُ الشارعَ بِحَذَر.

**

لا توقظِي نوميَ العميق..

دعيني أُرتّبْ ذاكرتِي من جديدٍ،

فأنا لا أذكُرُ كيفَ أهديْتُكِ الوردةَ الأولى،

وكيف انتهيتِ وسواسًا قهريًّا،

مرضًا يجلدُني،

وأصلّي له..

**

لا توقظِي نوميَ العميق..

فالبحرُ ينسى جميعَ المسافرينَ،

ما عدا أولئكَ الذينَ غَرقوا،

والعصافيرُ...

كلُّ العصافيرِ التي رسمتُها على ذلك الجدارِ طارتْ

وأنا بقيتُ وحيدًا.

**

لا توقظِي نوميَ العميق..

وأخبريني كيف صرتِ وجهَ الله!

ضياعَ الغرباءِ،

ولهفةَ المسافرينَ!

وما هذا التجلّي؟!

يدُكِ غيمةٌ،

ووجهي الصّحراءُ..

أخبريني كيف يصيرُ الحزنُ صديقًا حميمًا والزنادُ وردةً،

والرَّصاصةُ نافذة!

**

دعيني أنمْ..

لم يعُد في داخلِي زجاجٌ أحطّمُهُ،

فقدتُ أصابعِي كلَّها

ولمْ أعدْ قادرًا على فتحِ ذلك الباب.

الطوفانُ

حياتُنا جميعًا مبنيَّةٌ على خوفنا مِنَ الطُّوفانِ المُرتَقَب،
وعندما لمْ يأتِ الطُّوفانُ،
بقينا غارقينَ في مخاوفِنا
**
عندما تجمهرْنا جميعًا وهتفْنا معًا:
الطوفانُ قادمٌ.. الطوفانُ قادمٌ.
أحدثْنا طوفانًا من لا شيء.
**
كُلُّ الكائناتِ
عادتْ إلى حياتِها الطَّبيعيةِ بَعدَ الطُّوفان.
ما عدا البشر
ما زالوا إلى الآن لمْ يُغادروا السَّفينة.

المؤلِّف

يوسف الخضر:

شاعر وكاتب سوري، من مواليد 1995 في محافظة الحسكة، شمال شرق سوريا.

صدر له:

– (الهامستر)، رواية، عن منشورات إبييدي.

– (مطر على ملامح غربتي)، ديوان شعر، عن دار نلسن، بيروت.

مساهماته:

– كاتب مشارك في فيلم (بائع الورد)، فيلم وثائقي طويل للمخرج الأمريكي Noel Paul.

– كتب وأخرج مسرحية (طق براغي)، وهي مسرحية توعوية تعالج قضية التمييز الجندري.

– يكتب ويعد تقارير صحفية لصحف ومواقع عربية؛ منها: صحيفة العربي الجديد، صحيفة الأخبار اللبنانية، موقع ألترا صوت الإلكتروني، ومجلة الآداب الإلكترونية.

للتواصل مع الكاتب:

بريد إلكتروني: yalkhodor@gmail.com

فهرس الكتاب

لمْ يصلْ بعدُ 7
الحسكة 10
عجلة الهامستر 14
ما الذي يدفعني للكتابة 20
أقترف الحياة ذنبًا 23
الانتظار 30
تخلّي 32
ندم 33
السراب 37
الضوء 42
دون مستوى الرؤية 48
نداء الفراغ 51
المعركة 53
اليتيمُ 56
بكاء 57
تعب 59
جنازة 61
حين طَردتُ وحدتي خارجًا 64
دخان 67
سقوط 69
شهوةٌ ولم تعبُر 70
صورتُكِ المعلَّقةُ على الجدار 78
ظلّ 81

عبثٌ 84
عبُور 86
عند مَفرقِ الجِسر 87
غيابُكِ 90
فوارغُ الرصاص 91
في رثاءِ الملل 95
قصةُ حبٍّ شرقيّةٍ 97
مثلَ عَبَراتِ البُكاءِ 98
عطش لا ينتهي 99
مطر 102
غُربة 103
دفتر ملاحظات الهامستر1 108
دفتر ملاحظات الهامستر2 110
بشرٌ وآلهةٌ وشياطينُ 112
نافذة 113
جوعٌ لا ينتهي 114
نومٌ عميق 116
الطوفانُ 122
المؤلّف 123
فهرس الكتاب 125